Adab Al-Rafidain

https://radab.mosuljournals.com

The symbol of water in the novel "Taghribat Al-Qafir" by Zahran Al Qasimi, a semiotic study

Latifa Alhamady

Asst. Prof./ Alwasl Uni./ Dubai- U.A.E

Article Information

Article History:
Received July 13, 2023
Reviewer July 24 .2023
Accepted August 5, 2023
Available Online March1 , 2024

Keywords:
Symbol
Semiotic
Water
Novel
Taghribat Al-Qafir
Zahran Al-Qasimi

Correspondence:
Latifa Alhamady
bin_knean84@hotmail.com

Abstract

This study attempts to identify the symbol of water in the novel "Taghribat Al-Qafir" by the Omani writer Zahrani Al Qasimi, whose novel embodied his ability to open new horizons for the fictional text, in which the vocabulary of nature glows, specifically (water); to produce new connotations with a clear intellectual dimension, and a mature artistic formation in which images are generated, with multiple connotations. Water appeared in the novel as a constructive component characterized by its semantic and cognitive richness. From its ideas emerge, meanings expand, and the writer expresses through it his experience with renewed visions**.**

The study seeks, through the semiotic approach, to answer a set of questions, most notably: How was the symbol of water manifested in the novel? What are its implications? What is its relationship to the elements of the narrative (place and time**?(**

In the conclusion, I concluded that the writer's reliance on the word (water) with its various symbols in building the novel highlighted the effectiveness of this word, and its role in assimilating the creative self, as well as its ability to reduce the scene of life with all its contradictions.

DOI: 10.33899/radab.2023.141770.1965, ©Authors, 2023, College of Arts, University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

رمز الماء في رواية تغريبة القافر لزهران القاسمي: دراسة سيميائية

لطيفة الحمادي*

المستخلص :

تحاول هذه الدراسة الوقوف على رمز الماء في رواية تغريبة القافر للأديب العُماني زهراني القاسمي، الذي جاءت روايته تجسيدا لقدرة الكاتب المعاصر على فتح آفاق جديدة للنص الروائي، تتوهج فيه مفردات الطبيعة، تحديدا (الماء)؛ لإنتاج دلالات جديدة ذات بعد فكري واضح، وتشكيل فني ناضج تتولد فيه الصور، وتتعدد معه الدلالات، فقد ظهر الماء في الرواية بوصفه مكونا بنائيا يمتاز بثرائه الدلالي والمعرفي، فمنه تنطلق الأفكار، وتتسع المعاني، ومن خلاله يعبر الأديب عن تجربته برؤى متجددة.

* استاذ مشارك / جامعة الوصل/ دبي- الامارات العربية المتحدة

وتسعى الدراسة من خلال -المقاربة السيميائية- إلى الإجابة عن مجموعة أسئلة أبرزها: كيف تجلى رمز الماء في الرواية؟ وما دلالاته؟ وما علاقته بعناصر السرد (المكان والزمان)؟

وتوصلت في الخاتمة إلى أن اتكاء الكاتب على مفردة (الماء) برموزها المتنوعة في بناء الرواية، أبرز فاعلية هذه المفردة، ودورها في استيعاب الذات المبدعة، فضلا عن قدرتها على اختزال مشهد الحياة بكل تناقضاته.

الكلمات المفتاحية: رمز، السيميائية، الماء، الرواية، تغريبة القافر، زهران القاسمي.

❖ **مقدمة**:

تعد الطبيعة موردا خصبا ألهب قرائح الأدباء على مر العصور، فراحوا ينهلون منها، ويرسمون لوحات أدبية متنوعة، أودعوها خبراتهم وعواطفهم وأخيلتهم، فقد شكلت البيئة المحيطة بهم مصدرا من المصادر المؤثرة في أدبهم.

ومن أشهر عناصر الطبيعة حضورا في الأدب الماء، الذي يتغلل في الأعمال الأدبية حاملا معه مجموعة متنوعة من الصور والدلالات والرموز، ونجد أن حضور موضوع الماء في الأدب يرتبط بأفكار متنوعة أبرزها: الحياة، الخصب، البعث، الولادة، التجدد، التطهير... إلخ.

وشكل الماء في رواية تغريبة القافر العنصر الأساسي الذي بني عليه النص، واستطاع الكاتب زهران القاسمي أن يقربنا من مكان غير مألوف للرواية المتداولة في الوطن العربي، هو الآبار والوديان والأفلاج والعيون في سلطنة عمان، وتأثير العناصر الطبيعية في علاقة الإنسان بمحيطه وبثقافته، فهذه الرواية نابعة من البيئة القروية العمانية، التي يهيمن عليها الماء بتأثيراته المختلفة ما بين الخصب والجدب، والسيولة والشح، وتتخذ الرواية من شخصية القافر الذي ولد من رحم الماء بطلا لها، يعيش حياته يرصد المياه في جوف الأرض، فظهر الماء في الرواية بوصفه مكونا بنائيا يمتاز بثرائه الدلالي والمعرفي؛ إذ يتسع معه المعنى، وتنطلق منه الأفكار، مما سمح لخيال الكاتب بالتشكل على وفق بنى متعددة تنسجم مع رغبته في التعبير عن تجربته الحياتية برؤى متجددة.

وتحاول هذه الدراسة أن تجيب عن تساؤلات أهمها:

– كيف تجلى رمز الماء في الرواية؟ وما دلالاته؟ وما علاقته بعناصر السرد (المكان والزمان)؟

– هل استطاع الكاتب أن يعبر عن أفكاره بدقة في رمز الماء؟

– هل وظف الكاتب "المائيات" توظيفا ينمُّ عن وعي بتلك الجماليات المائية؟

وقد اعتمدت الدراسة على المقاربة السيميائية من منظور تأويلي يستنطق الرموز والإشارات والعلامات، مع الاستعانة بالإشارات النفسية في بعض المواضع، لذلك ارتأينا معالجة الموضوع وفق العناوين الآتية: ملخص الرواية، ماء الغلاف، الماء والأمومة، الماء والأحلام، البعد التضادي للماء، الماء والمكان، الماء والزمان، وأخيرا خاتمة تتضمن نتائج البحث.

وهناك مجموعة من المقالات المنشورة في الصحف والمجلات، تناولت رواية تغريبة القافر من زوايا متنوعة، ولعل أقرب هذه المقالات لموضوع الدراسة مقالة في مجلة نزوى العمانية، العدد111، لسنة 2022م، بعنوان: (تتبع تمثلات الماء في رواية زهران القاسمي تغريبة القافر)، ركز فيها الكاتب محمود حمد على علاقة الماء بأهم شخصيات الرواية، مؤكدا في خاتمته أن للرواية تمثلات مائية متنوعة لا بد من تسليط الضوء عليها، ودراستها بشكل علمي جاد، وهذا ما سعت إليه هذه الدراسة وهو الكشف عن الأوجه المتنوعة للماء، وقد وضحنا ذلك في إشكالية البحث، ثم تقسيمات الخطة سابقا، فضلا عن أننا اطلعنا على دراسات متنوعة تتناول مفردة الماء في النصوص الأدبية، وأغلبها يركز على دراسة الماء في الشعر العربي، منها على سبيل المثال لا الحصر: (رمزية الماء الوجودية في الشعر الجاهلي معلقة، امرؤ القيس نموذجا، دراسة سيميائية- خيرة راي، ميلاد عاشور)، (رمزية الماء في الشعر الأندلسي، دراسة تحليلية وفنية، ابن زيدون أنموذجا- أحلام العمري)، (رمزية الماء في الشعر العربي الحديث، علي محمود طه أنموذجا- د.سامية يحياوي).

❖ ملخص الرواية:

رواية تغريبة القافر[1] للكاتب العماني زهران القاسمي[2]، الفائزة بجائزة البوكر لعام 2023م، هي من إصدار دار رشم، وتقع في 230 صفحة، تبدأ الرواية بمشهد غرق (مريم بنت حمد ولد غانم) أم سالم القافر، التي تأخر حملها، وكانت تعاني من صداع مزمن، لا يذهب إلا نادرا، وزادت شدته في مدة حملها، وكانت نهايتها مأساوية؛ فقد سقطت في بئر عميق، ولم يستطع أهل القرية إنقاذها، رغم استنفار الأشداء منهم، وفي وقت غسلها اكتشفوا حركة الجنين بداخلها، وقد أفتى شيخ القرية بعدم جواز إخراجه منها، لكن إحدى السيدات (كاذية بنت غانم) كان عندها الجرأة والشجاعة لإخراجه عملا بقوله تعالى: ((يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ)) (سورة يونس، الآية 31)، لتبدأ بعد ذلك سيرة (سالم بن عبد الله بن جميل)، الملقب (بالقافر) من صغره، فكان يضع أذنه على الأرض، ويسمع بتركيز، ويشير إلى مواضع المياه بعبارة خاصة: "ماي.. ماي"[3]، وقد ظن أهل القرية في البداية أن به مسا من الجن، وأوصوا أبناءهم بعدم اللعب معه، والبعد عنه، لينشأ وحيدا وسط رعاية من كاذية ومرضعته آسيا ووالده، وقد كانت "رحلاته الصباحية لا تخلو من منغصات، كأن يصادف امرأة تتشاءم من رؤية وجهه صباحا فتسمعه بعض الكلمات الجارحة، أو أن يرميه فتى بحجر وهو يصرخ فيه (ود الغريقة) وقد يصادف رجلا يخرج من بيته غاضبا فيفرغ ما أغضبه في وجهه مستعملا أبشع ما يعرفه من كلمات نابية"[4].

حتى تأتي اللحظة التي يساعد فيها سالم أهل القرية؛ لإيجاد منبع للماء، احتار في العثور عليه خبراؤهم على مدار أيام، وتتأكد موهبته، ويشتهر بينهم، ويلقب (بالقافر)، يمتهن مهنة البحث عن المياه، ويساهم في حفر القنوات المائية المسماة بالأفلاج، نتتبع رحلاته على مدار سنوات بين القرى المختلفة، وكيف بات مصيره، ومصير والده مرتبطا لما حدث لوالدته منذ سنوات.

❖ ماء الغلاف:

إن الغلاف هو أول ما يلفت انتباه القارئ كونه واجهة إشهارية للرواية، وجسرا للتواصل بين القارئ وما تتضمنه الرواية، فهو الحيز الذي تشغله الكتابة بوصفها أحرفا طباعية على مساحة الورق، ويشتمل طريقة تصميم[5]، ومن خلاله يعبر المتلقي إلى أعماق النص الرمزي والدلالي[6].

تضعنا الرواية منذ عتباتها الأولى في أجواء الخصوصية العمانية؛ فنجد الغلاف عبارة عن لون أزرق فاتح هادئ، يرمز إلى الماء وأماكنه، تحديدا الفلج أو مجرى الماء، ويمثل الماء في رواية تغريبة القافر العنصر الأساسي الذي تقوم عليه أحداث هذه الرواية المائية، التي تعيد للراوي وظيفته الأولى وهي ري الناس وإشباع ظمئهم بحكاياته التي يرويها، وهذه الوظيفة تتقاطع مع وظيفة بطل الرواية سالم القافر، وهو أحد مقتفي أثر الماء، تكون حياته منذ ولادته مرتبطة بالماء، فأمه ماتت غرقا، ووالده طمر تحت قناة أحد الأفلاج، وتنتهي حياة البطل في قناة أحد الأفلاج.

ومع لون ماء الغلاف اهتم الكاتب بالصورة المرسومة عليه؛ فلم تكن الصورة مجرد شكل ومزيج من الألوان، وإنما وظفها الكاتب بوصفها نصا "ككل النصوص تتحدد باعتبارها تنظيما خاصا لوحدات دلالية متجلية من خلال أشياء أو سلوكات"[7]. وفي الرواية جاءت الصورة في الغلاف عبارة عن مغزلين للصوف، ارتبطا بنصرا زوجة سالم القافر، التي كانت تغزل بانتظار

---

[1] - شخص له القدرة على تتبع أثر الماء في باطن الأرض، وهو عمل برع فيه أهل الصحاري والقِفار؛ لحاجتهم المَاسة للماء، ويحتاج صاحب هذه المهنة إلى الكثير من الموهبة والخبرة، جاء في لسان العرب: " قَفَرَ الأَثَرَ يَقْفُره **قَفْراً** واقْتَفَرَه اقْتِفاراً وتَقَفَّره كلُّه: اقْتَفاه وتَتَبَّعَه". ينظر: ابن منظور- لسان العرب- مادة (ق ف ر)- تحقيق: عبد الله الكبير وآخرين- دار المعارف، القاهرة- د.ط.- ص3700.

[2] - زهران القاسمي شاعر وروائي عُماني، من مواليد عام 1974. صدر له أربع روايات: "جبل الشوع" عام 2013، "القنّاص" عام 2014، "جوع العسل" عام 2017، و"تغريبة القافر" عام 2021، فضلا عن مجموعة من الدواوين الشعرية.

[3] - زهران القاسمي- تغريبة القافر- ط6- دار رشم للنشر والتوزيع، تونس، مسكيلياني للنشر والتوزيع، الشارقة- 2023م- ص65.

[4] - المصدر نفسه- ص80.

[5] - حميد لحميداني- بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)- ط1- المركز الثقافي العربي، للدار البيضاء، بيروت -1993 – ص55.

[6] - ضياء غني لفته، عواد كاظم لفته- سردية النص الأدبي- ط1- دار حامد للنشر،عمان، الأردن-2011 – ص111.

[7] - قدور عبد الله ثاني- سميائية الصورة، مغامرة سميائية في أشهر الإرساليات البصرية في العالم- ط1- مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن- 2007م- ص23.

عودته، وتسمي خيوط نسيجها بأسماء الأفلاج التي حفرها زوجها، وحكى لها عنها، ولا تيأس من لقاء به، فلا تتزوّج؛ فهو "الرجل الذي احتفظت به في ذاكرتها، الرجل الذي طال النسيان كل شيء فيها إلا وجهَه"[1]، فقد كانت غيبته الطويلة عنها؛ لاقتفاء حلمه في أن يصبح مالكا أرضا يزرعها، فكان هذان المغزلان مرتبطين بموضوع الانتظار الطويل والحكائي.

❖ الماء والأمومة:

إن للماء قدسيته التي تميزه عن باقي مكونات الطبيعة، فقد ذكرته الأساطير بأنه أيقونة الوجود، و"تكاد تجمع أساطير العالم على أن الماء هو أصل نشأة الكون والأحياء"[2]، واستمرت النظرة التقديسية للماء على مر العصور؛ فقد "كان العرب في فجر تاريخهم البعيد ينظرون إلى الماء نظرة تقديس؛ لأنه مورد الخصب والنماء، وواهب البركة والخير"[3].

ويتقاطع الماء مع الأمومة في قدرتهما على منح الحياة، فنجد التشابه بين دلالات الماء والمرأة في معظم تراث الشعوب؛ إذ يرتبط وجود المرأة بالمطر وحلول الخصب، ورحيلها بالجفاف والقحط، وبناء على ذلك ظهرت فكرة "إن الولادة هي انفصال وقحط فالجنين في بطن الأم محاط بغشاء ... وهو موجود في وسط مائي ... فبطن الأم يؤلف خلال الحمل وسطا مائيا مغريا، وهو نوع من (بحر داخلي) و يريد الإنسان ويحاول طيلة حياته العودة إليه"[4].

وفي رواية تغريبة القافر كان حضور الماء وفاعليته في شخصية الأم (مريم) والدة القافر طاغيا، ابتداء من حملها به، وما سببه لها من نوبات صداع لا تخفّ إلا "إذا غاصت تحت الماء"[5]، فكان دواءها المؤقت، وتطورت الأحداث في مشهد موتها غرقا في بئر (الخطم)، ثم اكتشاف حركة الجنين في بطنها، وولادة طفلها بحضور الماء وصوت يقول: "في بطنها حياة... في بطنها حياة"[6]. وأخيرا إخراجه من بطن أمه الميتة حيا، "وغسلت كاذية بنت غانم المولود بالماء ذاته الذي غسلت به والدته المتوفاة"[7]، فكان الماء في علاقته بالأم يمثل ثنائيات ضدية: (الموت والحياة)، (النهاية والبداية)، (الألم والأمل والخلاص).

كذلك صوت الماء المتردد داخل الطفل (سالم): "ماي.. ماي"[8]، فنجده "يركض مسرعا ليحني جسده ثم يلصق أذنه بالأرض، ويضيق عينيه كمن يحاول رؤية شيء ما في العتمة، ويصيخ السمع وكأن أحدا يناديه من الأعماق"[9]. إن هذا المشهد يعكس تضخم صورة الماء في لا وعي الطفل القافر الناتج عن فقدانه لأمه، وكأن لديه رغبة العودة إلى رحم الأم، والرجوع مرة أخرى إلى مرحلة الدفء، والإحاطة الحنونة التي يوفرها جسد الأم، وذلك من خلال الدخول إلى عمق الأرض ورحمها، واستكشاف ينابيعها وأفلاجها، فيعيش حالة من الارتخاء الحلمي: "وضع سالم بن عبد الله أذنه على جدار القناة، أغمض عينيه وانفصل عن الضجيج حوله ، سمع الهدير في الأرض يناديه، فحدد مساره، طوله وعمقه، ثم فتح عينيه ونظر إلى القناة الطويلة التي استمر حفرها لأيام"[10].

والأمومة تقترن بفعل الولادة الذي يحتوي المعاناة وألم المخاض، وللأرض -الأم الكبرى- مخاضها ومعاناتها الخاصة، و يمنحها الكاتب ملامح أمومية يرسم فيها مشهد الولادة الكونية التي تعيشها الأرض، ويقف الماء في مقدمة العناصر الطبيعية التي تعين هذه الولادة، فتهتز قيعان المياه في الأرض بحنين أمومي يشد أعصاب اليباس، في علاقة تواشج وتخصيب، فيصور الكاتب صراخ الأرض وهي تلد كائناتها الحية: "أهل البلدة فرحوا بالخصب الذي حل ورأوا امتلاء الوديان والشعاب، وضجت جنبات

---

1 - زهران القاسمي- تغريبة القافر- مصدر سابق- ص215.
2 - ثناء أنس الوجود- رمز الماء في الأدب الجاهلي- مكتبة الشباب، مصر- 1986م- ص18.
3 - نوري حمودي القيسي- الطبيعة في الشعر الجاهلي- ط1- دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- 1970م- ص43.
4 - زهير مناصفي- شاعرية الماء والحياة النفسية، بحث في رموز الخيال من المياه المقدسة إلى المياه المبتذلة- مجلة الفكر العربي- مج16- ع82- 1995م- ص156.
5 - زهران القاسمي- تغريبة القافر- مصدر سابق- ص18.
6 - المصدر نفسه- ص13.
7 - المصدر نفسه- ص27.
8 - المصدر نفسه- ص65
9 - المصدر نفسه- ص65
10 - المصدر نفسه- ص115.

القرية بخرير الجداول وتدفقت مياه الأفلاج بغزارة حتى فاضت السواقي... جلبوا من القرى المجاورة فسائل النخل وأشجار الليمون والسفرجل والأمبا... حتى عادت القرية واحة غناء متجددة"[1].

❖ الإنسان كونا مائيا:

للكاتب ولع بتمويه الإنسان من خلال ما يخلع عليه من صفات وتشبيهات مائية، فتصبح الشخصية في الرواية وكأنها كيان مائي، تمتلك نقاء الماء وقدرته على التشكل والصيرورة، وغموضه الممتد في أعماقه، حتى أننا يمكننا القول: إن الزهراني في تعامله مع الشخصيات الإنسانية في الرواية اعتمد قاموسا مرجعيا مائيا في رسم صورة الإنسان، "إذ يتخذ الماء كل الأشكال الممكنة متزودا برموز أساسية"[2].

فها هو يصور قدرة أذن البطل سالم على سماع صوت الماء داخل الأرض، وكأنها ضربات مائية تخترق أذنه: "كانت تلك الأصوات تنجذب إلى أذنيه من كل صوب... تأتيه الأصوات، يشعر بها مثل دفقات من دوائر مائية تتكاثر حول أذنه، فيأخذ بجمالها وينفصل عن عالم الموجودات، يسحبه ذلك العالم الحسي، عالم الأصوات المتداخلة إلى عمقه اللذيذ، فيشعر بذاته تخرج وتسافر في كل مكان بحثا عن الصوت، حتى صار يدرك تماما ما هية الأصوات التي يجمعها"[3].

كما يصور اختراق الحب لقلب سالم القافر بالماء المتفجر من قلب الحجر، راويا الأرض العطشى: "كما ينفجر الماء من قلب الحجر، ويسري الينبوع برقته على الأرض العطشى، وكما كان القافر يطرب لخرير الماء في الأعماق، ناداه الحب. رآه في ابتسامتها عندما كانت تقف أمام داره... أراد أن يرتوي بابتسامتها ويعلق نظره في أسنانها البيضاء... وظلت ابتسامتها تزوره في منامه، ثم سكنت في داخله مثل سكون الينابيع في قلب الحجر"[4].

ويشير الكاتب إلى معاناة الإنسان من أحاديث الناس وخرافاتهم التي تثقل قلبه وعقله، فيصف لنا معاناة صبيحة أم الوعري التي اعتقدت بسبب الخرافات الشعبية أن الجن استبدلوا بنها بطفل آخر، فأصبحت "مثل سحابة داكنة استقرت وسط السماء قبل أن تسكب ماءها، ومثلها تماما كانت تهدر ثم تسح دموعها ثم تبلل لحاف شعرها وتذهب وهي تتحدث مع نفسها"[5].

❖ الماء والأحلام:

إن الخيال كما يرى غاستون باشلار مولد طبيعي للصور، لذا نجد خيال الماء هنا يبرز مولدا للصور والأحلام، ويرى غاستون أيضا أن الخيال على ضربين: الخيال المادي والخيال الصوري، ويفسر الخيال المادي بأنه "ملكة تشكل من العناصر المادية الأربعة المتطابقة مع أربعة أَمزجة (الماء، والتراب، والنار، والهواء)، الصور التي تجاوز الواقع وتغنيه، ومن ثمّ فهي ملكة فوق بشرية"[6]، فالنص هنا بتشكله من عنصر الماء المادي يحاول الانفلات من الواقع/ العطش، نهر الدموع، الضباب، العنف، الموت... ويفر منه إلى الحلم/ الطهر، النقاء، الري، الحياة... إلخ.

فالماء يمنح خيال الإنسان فرصة للتأمل والتحرر من منطقيات الواقع والوعي، والدخول في منطقة الأحلام. وفي الصور المنعكسة على صفحة الماء تظهر أحداث حلمية متحركة، وهذا الظهور الحلمي قائم على غياب أساسه تخيلات متماثلة مع عالمنا الحقيقي الواقعي.

وعلاقة الماء بالأحلام تظهر عميقة وثرية في رواية تغريبة القافر، وهي علاقة خلقتها لحظات التفرد والتأمل عند منابع المياه، فتصبح الشخصيات غارقة في أحلامها التي رافقتها طيلة حياتها، وهي من لحظات التقاطع بين الماء والأحلام؛ فالإنسان في كليهما يشعر بحركة بطيئة معزولة عن المنطق، ويتجلى ذلك في شخصية آسيا: "جلست آسيا على رملة ناعمة

---

[1] - المصدر نفسه - ص45.
[2] - زهير مناصفي- شاعرية الماء والحياة النفسية- مرجع سابق- ص141.
[3] - زهران القاسمي- تغريبة القافر- مصدر سابق- 79.
[4] - المصدر نفسه- ص135.
[5] - المصدر نفسه- ص89.
[6] - غاستون باشلار - الماء والأحلام - ترجمة: علي نجيب إبراهيم – ط1- المنظمة العربية للترجمة – بيروت - 2007م ، ص278.

تستريح بالقرب من حوض في قعره أسماء الصد الصغيرة... مر شريط ماضيها أمامها والكائنات الصغيرة ترقص على الماء، فكأن تلك الكائنات كانت ترسم ذكرياتها وتكتبها لها، رأت أطفالها الموتى، حياتها الأولى، طفولتها، أحلامها، الوحدة التي تعيشها في قرية ضاجة بالبشر، بعد أن رحل عنها إبراهيم وخلفها وحيدة تصارع وحوش انتظاره التي لا تغلب"[1].

وظلت المرأة في رواية تغريبة القافر مثار الحلم، ومهده الأول للكاتب؛ إذ يحمله وجهها وابتسامتها إلى عالم من الأحلام، يتخيل نفسه فيه وكأنه يغوص في أعماقه: "ترددت تلك الفتاة إلى أحلامه مرات عديدة، تشرق بوجهها مبتسمة ثم تقترب منه، كان يراها في الحلم تمشي على قدميها وترقص حوله وتغني أغاني كثيرة بلا توقف"[2]. إلا أن حلمية الماء لا تتمثل في شاعرية الأعماق فقط، أي الغوص والاستسلام التام، بل تكون أحيانا ضبابية مخادعة؛ فالحلم حالة متوهمة لا تمنح الثقة، لا سيما أحلام الفقد – التعويض، التي تبني عالمها فوق أرض اليقظة: "في تلك الأحلام كانت البدايات والأحداث تختلف من حلم إلى آخر، ولكن النهايات ظلت متشابهة، يرى فيها الفتاة تسقط من رقصتها في بئر مظلمة، ويسمع صراخها وبكاءها يتصاعدان من أعماقها، فلبث مطلا من فوهة تلك البئر... وبينما هو كذلك يخرج وجه مخيف من فوهة البئر فيخاف ويصرخ، ثم يستيقظ والهلع يملأ روحه"[3].

وتبدو هذه الأحلام التي تنتاب البطل سالم ناتجة عن نشاطات اللاوعي -كما يرى علماء النفس-، في محاولة لتقديم حلول لمشكلات توازن الشخصية في ثلاثة جوانب رئيسة: اجتماعية، وسيكولوجية، وفكرية. فالاجتماعية: إشباع رغبات الشخصية فيما تتطلع إليه، والسيكلوجية: تحرير المكبوت الذي يصطدم بقيود الواقع، والفكرية: خلق عالم مثالي هروبا من الواقع الذي يتناقض مع رغبات الشخصية[4]، فقد كان سالم يعاني انعزال الأطفال عنه بسبب تحذير الأمهات بعدم الاقتراب منه، حتى التقى بالطفلة المشلولة أمام باب بيتها، فبادرته بالابتسامة، وما إن مدت يدها لتعطيه حبات من التمر حتى خرجت امرأة سمراء برأس كبير وحادة الصوت فطردته من المكان، وظل يركض لبيته، وصوت الصراخ والبكاء يترددان في أذنه[5]، يبدو أن هذا الموقف قد تسرب في لا وعيه، وتمثل في أحلامه.

❖ البعد التضادي للماء:

يقوم البعد التضادي للماء على الثنائية الضدية التي يظهر فيها الماء مانحا للحياة من جهة، في مقابل الدمار والموت الذي يخلفه من جهة أخرى. فقد مثل الماء في الرواية مسرحا لطقوس الحياة، حاملا دلالات عميقة متجذرة في الكاتب، وهو أمر ليس غريبا على شخص يعيش في وطن مائي، تثقل ذاكرته صور البحار والخلجان والآبار والأفلاج والعيون.. لكن كل ذلك لم يمنع من ظهور الوجه الآخر للماء في الرواية وهو الموت؛ بحيث يتم إفراغ الماء من فاعلية البعث والحياة.

وتبدأ هذه الثنائية الضدية ابتداء من مفتتح الرواية: "غريقة.. غريقة"[6]، ثم صوت آخر: "في بطنها حياة.. في بطنها حياة"[7]. فقد حضر الماء هنا بشكله القاسي وهو ينهي حياة الأم، لكنه شاهد على ولادة ابنها، فتقف شخصيات الرواية التي حضرت هذا المشهد عاجزة أمام هذه الثنائية، موت الأم وولادة الطفل وكل ذلك بحضور الماء، ثم يستثمر الكاتب هذه الثنائية الضدية للماء في تحولات سير الأحداث في عمله.

---

[1] - زهران القاسمي- تغريبة القافر- مصدر سابق- ص48.
[2] - المصدر نفسه- ص78.
[3] - المصدر نفسه- ص78.
[4] - عبد الهادي الفرطوسي- سلطة القمع في النص النسوي العربي (زهور ثلجيّة) مصداقاً- الموقع الإلكتروني لمؤسسة النور للثقافة والإعلام، العراق: -www.alnoor.se- 2007م.
[5] - زهران القاسمي- تغريبة القافر- مصدر سابق- ص78.
[6] - المصدر نفسه- ص7.
[7] - المصدر نفسه- 13.

والمتتبع لأحداث الرواية يجد أن علاقة أم القافر (مريم) بالماء اتسمت بثنائية متناقضة، فعلاقتها مع الماء في البداية لم تكن بتلك القسوة؛ "فصداعها يخف إذا غاصت تحت الماء"[1]، ثم تطورت علاقتها به حتى غرقت في بئر الخطم، فقد كان الماء بالنسبة لها الدواء المؤقت، والنهاية التي أنهت صداعها، فمثل الماء الأمل الخلاص والنهاية. ثم تكررت ثنائية الموت والحياة بحضور الماء شاهدا على النهاية والبداية عندما "غسلت كاذية بنت غانم المولود بالماء ذاته الذي غسلت به والدته المتوفاة"[2]. فقد ولد القافر في مشهد يحمل الكثير من التناقضات في الماء: (وفاة/ولادة)، (موت/حياة)، (نهاية/بداية).

ويحضر المطر كذلك في الرواية حاملا هذه الثنائيات الضدية، فهو الخير والأمل والحياة والبشرى: "وكان المطر في الخارج يغسل المكان والنخيل، وما هي إلا لحظات حتى سمعت هدير السيل يملأ الوادي"[3]، في مقابل قسوة الماء/ المطر، وانهماره بغزارة، حتى ألجأ الناس إلى الكهوف: "بدأ المطر ينهمر بشدة... جرفت السيول البساتين وذابت جدران البيوت الطينية... وهرب الناس بأمتعتهم وطعامهم إلى مغاور الجبال واحتموا بالكهوف الكبيرة أياما عديدة"[4].

وتتجلى الثنائية الضدية للماء كذلك في مشهد غرق والد القافر (عبد الله) ليلة زفافه،إذ يموت والده وهو يبحث عن الحياة/ الماء في أحد الأفلاج، قائلا في لحظاته الأخيرة: "عطشان عطشان، ماي ماي، هين الماي يا سالم، هين الماي يا ولدي، باه سالم عطشان عطشان، ماي ماي، أبغي ماي، ماي ماي"[5]، فقد اختلط صوت الحياة والموت في صوت الأب، الذي مات ودفن ودفن في ليلة عرس ابنه سالم القافر، وهذا التناقض سبق في ولادة القافر من أمه الغريقة في البئر.

ورغم كل هذه التحديات التي واجهها البطل مع الماء، يبقى الماء التحدي الذي يصر عليه بطل الرواية سالم، والصراع الذي يخوضه، "فالعيون التي تسكن الصخر هي التي تستهوي القافر، تلك الينابيع العذبة الساخنة القادمة من أعماق الأرض"[6]، كل هذا دفعه أن يقبل عرض (محسن بن سيف)، ويذهب معه قافرا للماء، فبه يكون له نصف بلدة (سيف)، فترك صخرته وزوجته وقريته في انتظار طويل؛ ليخوض صراعه الأخير مع الماء، صراع الموت والحياة، فقد ذهب بحثا عن الماء/الحياة، لكن نهايته كانت الموت فيه، مما يعيد في ذاكرة المتلقي مشهد ولادته في الماء، فمن الماء خرج، وإليه يعود، فلم يكن الماء في هذه الرواية مجال عمل البطل فقط، بل هو مدار الحكي، فمنه البداية وإليه النهاية، وكأن النصّ يدور في حركة دائرية حول فوهة البئر.

❖ الماء والمكان:

إن ثقافة المكان تشكل بنية نصية حية في النص الروائي، لها قدرتها على التفاعل مع الأحداث والشخصيات، والمكان الرواية "ليس بما هو موجود في مسرح عمليات الرواية، ولكنه بما يخدم شكل الرواية ومضمونها"[7]، فالمكان خارج دالته الجغرافية هو دالة ثقافية لها قوانينها المعرفية، يفصح عن وجوده وفعله وإمكانية قدرته على ممارسة فعل الفهم والمعرفة، فيكون عندئذ قوة لها القابلية على تشكيل مساحة النص، كما له خاصيته المهمة عندما يتفرد بجوهر زمنه[8]، وهذا ما يكسبه حركة حركة مستمرة مع ثبات واقعه الجغرافي.

وفي رواية تغريبة القافر تطغى المائية على الكثير من الأمكنة، وما تشتمل عليه هذه الأمكنة من مفردات حية أو جامدة، وكأن النص يبدو خارجا من سديم مائي، إذ يأخذ كل شيء شكلا مائيا سائلا، ومن أمثلة ذلك وصف الكاتب لسيول عمان، وما تفعله بالبسطاء من سكان القرى: "فالشمس ترتفع قليلا وتصل أعلى الجبال، تزحف ناحيتها من الجنوب سحابة رمادية داكنة ... تزداد

---

[1] - المصدر نفسه- ص18

[2] - المصدر نفسه- ص27.

[3] - المصدر نفسه- ص31.

[4] - المصدر نفسه- ص43.

[5] - المصدر نفسه - ص148.

[6] - المصدر نفسه- ص168.

[7] - شاكر النابلسي- جماليات المكان في الرواية العربية- المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – ص92.

[8] - يمنى العيد- في معرفة النص - ط3- منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت - 1985 - ص 188.

برودة الريح وتصبح رطبة وكأنها محملة بالماء البارد، يتحول الصيف فجأة إلى شتاء قارس، تزمجر الرياح الباردة ... فيهرب الناس إلى بيوتهم... ويبدأ المطر ينهمر بشدة وكأن السماء قد دلقت نفسها على القرية، تجرف السيول البساتين وتذوب جدران البيوت الطينية فتتساقط الأسطح، ويهرب الناس بأمتعتهم وطعامهم إلى مغاور الجبال ويحتموا بالكهوف الكبيرة لعدة أيام، ويبقون هناك يراقبون الماء وهو يغمر البلدة ويأخذ في طريقه كل شيء، فتصير بيوتهم أثراً بعد عين"[1].

هذه السيولة المائية التي تُمَوّه صور المكان في المخيلة ترتبط ارتباطا وثيقا بالقاعدة النفسية للحظات ولادة هذه الصور في الذاكرة؛ "فالبعد النفسي الذي يرجعه الماء هو في قلب الإنسان وخياله"[2]. ومائية المكان نابعة من مائية الإحساس به، أي من السيولة والعفوية التي تحكم طبيعة الحياة في هذا المكان، فالماء يفرض شكله ودلالاته بصورة ملحة على ذاكرة الأمكنة القروية؛ لذلك تأخذ مشاهد الريف والقرية في ذاكرة الزهراني أشكالا مائية تؤكد الأثر الكبير الذي كان للماء في احتضان دلالات الألفة، والاستحضار المطمئن لهذه الأمكنة: "أنصت سالم بن عبد الله إلى الماء وهو يناديه من بين جدران الصخر والحصى، أنصت إليه فسمعه كأنه يدعوه متوسلا تحريره من سجن الأرض، وهناك عند تلك النقطة التي تجاوزها الحفارون أمسك بمطرقته وبدأ يحفر في اتجاه مغاير... وما إن أخرج المسمار من ذلك الثقب الغائر في الأرض حتى تسلل الماء بخجل، وكأن هناك من يدفعه للخروج"[3].

إن الماء "نوع من الوطن الكوني"[4]، يضفي على المكان دلالات الألفة والنقاء والامتداد النفسي المثير لحس الأمن، إذ إن تدفق الحياة الذي يشيعه الماء في المكان يبعد عن مخيلة الإنسان الصور الضدية المتمثلة في الجفاف والجدب والموت، فهو من خلال تدفقه وجريانه يغرس في النفس الخصب والحياة[5].

ويرسم الكاتب العماني زهران القاسمي في روايته أسطورة البشر والمكان في قرية عمانية مليئة بالغرائبية، خاصة العلاقة المتوترة مع الماء بوصفه سرّ الوجود والحياة، فنقصه يعني الجفاف والموت، أما زيادته فتعني سيولا وأعاصير تهلك الكائنات.

ومن أهم صور المكان في هذه الرواية هي صورة البئر؛ إذ ظهرت في هذا السياق المكان الأبرز، كونها تمثل مصدرا رئيسا للماء، فكانت أول الأمكنة التي تحضر في الرواية، فقد استفتح الكاتب نصه بأحد الآبار الموسوم بـ (طوي الخطم)[6]، الذي غرقت غرقت فيه أم القافر، وهو المكان نفسه الذي شهد ولادته، ثم يكبر سالم، وتتحول علاقته بالماء إلى أسطورة، يتردد صداها على ألسنة أهل القرية، فقد أوتي معجزة خاصة، تتمثل في القدرة على معرفة أماكن الماء في باطن الأرض، انتشى القرويون برذاذ الأسطورة الوليدة وأحاطوها بمزيد من الخرافات: "وانتشر الخبر، كما الحريق عندما يحدث أن يبدأ من شرارة في كومة ليف فتأخذ نسمة هواء خفيفة الشرارات إلى الأشجار والمزروعات الأخرى، وفي لحظة قصيرة من الزمن يتوهج المكان بالحريق، ولا تبقي النار ولا تذر"[7]. استعاد الناس حادثة غرق أمه وقالوا: إن سكان البئر التحتيين أخذوا جنينها وأبدلوه بابنهم، وهناك من اتهمه بالسحر "وقالوا سيكبر وسيسحر الكبير قبل الصغير"[8].

ومن الأماكن الحاضرة بشكل لافت في الرواية الأفلاج، التي تعد من أبرز المعالم الحضارية في عمان، فالفلج نظام فلاحي لريّ البساتين، مرتبط بالحياة القروية في عُمان ارتباطاً وثيقاً دارت حوله الحكايات والأساطير، وقد كان واردا أن يتجه الكاتب في روايته إلى سرد تاريخي عن نظام الأفلاج الذي تعيش عليه السلطنة بشكل كبير، لكنه التزم الإطار الأدبي بخلفية معلوماتية مقتضبة عن الأفلاج: "وسرعان ما أعيد استصلاح الفلج، فرممت جدرانه وفرضاته التي بلغ عددها اثنتي عشرة فرضة اتخذت

---

[1] - زهران القاسمي- تغريبة القافر- مصدر سابق- ص43.
[2] - زهير مناصفي- شاعرية الماء والحياة النفسية- مرجع سابق- ص143.
[3] - زهران القاسمي- تغريبة القافر- مصدر سابق- ص116، 118.
[4] - غاستون باشلار - الماء والأحلام - مرجع سابق- ص198.
[5] - محمد طالب البجاري- المكان ودلالاته في شعر السياب (ماجستير)- كلية التربية، جامعة البصرة، العراق- 1998م- 40.
[6] - زهران القاسمي- تغريبة القافر- مصدر سابق- ص7.
[7] - المصدر نفسه- ص73.
[8] - المصدر نفسه- ص73.

كل واحدة منها شكلا أسطوانيا يبدأ من سطح الأرض وينتهي بقاع الفلج، وخرج الماء متدفقا يملأ سواقي الفلج، فسرى في ضواحي القرية حتى بلغ آخرها، وفاض عن الحاجة وتركوا بعضه يسيل في الوادي، وبذلك بدأت البرك بالامتلاء وعادت الحياة إلى القرية"[1].

وتتضمن الأفلاج في الرواية دلالتين اثنتين؛ أما الأولى فواقعيتها، وهي المهيمنة؛ إذ من خلالها يعبر الكاتب عن خصب الأمكنة المحيطة بالأفلاج أو جدبها، واحتياج الكائنات الحية للماء، فتأتي الأفلاج لتمدها بالحياة: "كان في القرية ثلاثة أفلاج تقسمها إلى ثلاث متساوية تمتد موازية للوادي، وحولها الجبال الشاهقة من جهة الشرق، تقابلها من ناحية الغرب أرض ممتدة ومفتوحة على الأفق، وكانت شلالات الماء تهبط من الجبال وتذهب إلى عمق صحراء حصوية نبتت فيها أصناف من الأشجار الكبيرة مثل السدر والغاف والقرط والسمر"[2].

وأما الثانية فرمزية؛ إذ تتضمن الأفلاج دلالة الخلاص؛ لكونها تستأصل مصادر الشرور والآثام، وتطهر الأرض، وتشفي من آلام الأمراض، ويحل الخصب والنماء والحياة محل الموت على نحو ما يتجلى في المشهد الخاص بوالدة سلام بن عامور الوعري حين مرض في سن السابعة مرضا شديدا، فاحتارت أمه، وعجزت عن معرفة ما عليها أن تفعله ليشفى، حتى اقترح عليها الشايب سويدان أن تغسله بماء الفلج: "فأخذته وغسلته وغسلت ملابسه كلها وفراشه"[3]. وكذلك آسيا مرضعة القافر عند لقائها بزوجها بعد غياب طويل، وقد ظهرت عليه علامات المرض والوهن "صارت تساعده على المشي إلى الفلج فتخلع ملابسه ولا تبقي عليه شيئا إلا إزاره، ثم تجلسه في داخل الساقية فيتجمع الماء خلفه مشكلا سدا فتغرف منه براحتيها وتسكبه على جسده"[4].

❖ الماء والزمان:

إن الأزمنة في الرواية "أزمنة متخيلة غير قابلة الخضوع لمقاييس الزمن، اللهم إلا على أسس من حساب زمن مطلق"[5]، فهي أزمنة مجهولة، كثيرا ما تُنسب إلى الأحداث، ونسبة الزمن إلى الأحداث يضفي عليها بعدا أسطوريا، من خلال استعصائها على النسيان وحضورها الدائم في الذاكرة الجمعية للشخصيات، ومحاولة الانعتاق من الزمن الحسي والعيش في زمن مطلق، سمة بارزة في الرواية، بل إن نزوع الزمن نحو الأسطورة يبدو جليا في غياب الزمن، ذلك الغياب الناشئ عن غياب المعالم الزمنية في الرواية، كما أن الشخصيات في الرواية لم تكن تحس بالزمن أو تشعر به، إلا حين تحل عليهم مواسم الخصب أو الجدب الخاصة بالماء، فتستعد الشخصيات للتعامل معها، وكأن الأمر لا يخرج عن كونه تمثيلا أسطوريا لتلك الطقوس التي أقامها الإنسان البدائي، قاصدا بها تجديد دورة الزمن، و"تحرير نفسه من أسر الإحساس بالزمن عن طريق استحضار النموذج القديم الذي يجعله يشعر بأنه معاصر للخطة الميثولوجية لبداية الحياة"[6]، ومن الأمثلة الواردة في الرواية: "في تلك الأيام كان يسمع السماء كل ليلة وهي تبكي بدلا منه، أما هو فغرق في موج من الأصوات المتداخلة"[7]، "لم تخلف الجائحة وراءها شجرة واحدة قائمة، إلا أن أهل البلدة فرحوا بالخصب الذي حل وقد رأوا امتلاء الوديان... أعيد تقسيم الضواحي ورفعت جدران البساتين، وخططت الأمكنة"[8]، "مرت الأعوام دون أن يخطر ببال أحد أن الماء الذي كان يجري منحدرا مع الوادي سيغور ويختفي"[9]، "يقال إن الشايب حميد بو عيون أخذته سنة من النوم وقت الضحى فرأى نارا تجتاح البلاد حتى التهمت كل شيء...

---

[1] - المصدر نفسه- ص133.
[2] - المصدر نفسه- ص97.
[3] - المصدر نفسه- 84.
[4] - المصدر نفسه- ص57.
[5] - مأمون الصمادي- جمال الغيطاني والتراث، دراسة في أعماله الروائية- مكتبة مدبولي، القاهرة- د. ط - د. ت- ص 191 .
[6] - نبيلة إبراهيم- الإنسان والزمن في التراث الشعبي- عالم الفكر، الكويت- مج 8- ع 4- 1978- ص 187.
[7] - زهران القاسمي- تغريبة القافر- مصدر سابق- ص 39.
[8] - المصدر نفسه- ص45.
[9] - المصدر نفسه- ص97.

وبعد ذلك بأيام قليلة مرض مرضا لم يتعاف منه، ثم مات"[1]، "ما الذي حدث تلك الليلة كي يستيقظ الجميع وقد امتلأ الوادي بالماء؟ ما الذي حدث حتى تصرخ شنّوه منذ الفجر في سكك الحارات وقد انفلت لحاف شعرها فمضت حاسرة دون أن تعي ذلك؟"[2].

نلاحظ أن الزمن في سردية الماء في الرواية يبدو غائما، بلا أي تحديد زمني، لا يمكن التيقن هل هو في الماضي أم الحاضر؟ وذلك للبيئة الريفية المنعزلة التي تدور فيها الأحداث، عدا أن هناك بعض التوقيتات الداخلية للشخوص، ولذا تأتي السردية كأنها من زمن مطلق، نستشعر أحيانا بأنه زمن لم تدركه الحداثة ولا التطور، أو أنه مطلق السعي فى كل زمن إلى المياه، ورغم تحديد الأماكن والقرى بأنها تنتمي إلى سلطنة عمان، إلا أننا نستشعر أن كلّ القرى والمدن فى هذا العالم يمكن أن تنتمي إلى قرى وأمكنة هذه الرواية، حتى الدول التي تتميز بمكوناتها المائية من أنهار وواحات وعيون ووديان، فالجميع يشترك في البحث عن الماء، بوصفه أصل الحياة، يقول: "مرت خمسة عشر عاما على وفاة مريم بنت حمد ود غانم غريقة في البئر، واستمرت آثار ما حدث بعد ذلك من سيول وخصب سنوات لم يشعر الناس فيها مرة بانقطاع السحاب، بل ما عادوا يحفلون بأن تكون السماء غائمة أو صحوا، إنما ظلوا يسقون ضواحي النخل والبساتين ويوردون مواشيهم المياه الوفيرة التي انبثقت من الأرض وشقوق الجبال، فنشط الفلج وسالت الغدران واكتست الجبال خضرة كثيفة"[3]. فالكاتب زهران القاسمي لا يضع شرطا زمنيا لروايته، بل يترك لقارئه التخمين، فلربما جرت الأحداث في خمسينيات القرن الماضي، أو أبعد... ربما لا تختلف عما جرى قبل مئات السنين، المؤكد أنها أحداث تعود إلى الزمن الصعب، ما قبل طفرة النفط وحياة الاستهلاك والرفاهية.

ويشيد الكاتب فصوله الروائية عبر 11 فصلا وخاتمة، كأنها شهور العام؛ فبعد 11 فصلا للرواية، يصير المتلقي، في الخاتمة التي تبدو اكتمالا لزمن تام (12 شهرا)، يصارع القافر بين صخرة وحجارة متساقطة، ويضرب في جبل، فلم "يكن يعلم أن جسد الصخرة يتداعى أمامه، كان غائبا في غضبه، متحدا مع مطرقته في هدم الجدران التي واجهته، وهو الوحيد، الغائب، السجين، الموجوع، الجائع، العطش ... تداعت الصخرة أمامه، وانفتح الخاتم على النفق الطويل، فانطلق الماء بقوّة وجرف كل شيء"[4].

وُصِفت هذه النهاية التي نغادر منها هذا النص الروائي، بأنها نهاية سينمائية، ممتلئة بالإيحاءات، مثقلة بما يمكن أن يعد فلسفيا ووجوديا، حيث الزمن دائري فالأحداث "تبدأ من نقطة ما ثم تعود في النهاية نفسها التي بدأت منها"[5]، ومختتم التغريبة كأنه مختتم والدة القافر (ووالدِه) بين الماء، و النهاية لعلها ليست النهاية، فمن يدري هل مات القافر عندما جرف الماء كل شيء؟

❖ خاتمة:

نسجل في نهاية البحث مجموعة من النتائج التي توصلنا إليها، وهي:

1. يعد الماء هو الخيط الرابط الذي يربط كل أحداث الرواية، هو العنصر الثابت في خضم التحولات التي عرفتها حياة القافر/بطل الرواية، وهو بؤرة الحكي التي ضمنت وحدة الحبكة الروائية، التي قال عنها أرسطو بأنها تجعل السرد الفني أسمى مقاما من التاريخ، وأرفع منزلة من الفلسفة[6].

2. منح الزهراني الماء أبعادا رمزية متنوعة تدل على قدرته على توظيف عنصر الماء في نصه الروائي، وهذا العنصر قد يبث رموزه ودلالاته بصورة مباشرة، من خلال استغلاله هو بذاته رمزا معبرا، وهذا يتجلى بشكل واضح في بعد الماء التضادي بوصفه رمزا معبرا عن الحياة في مقابل كونه رمزا معبرا عن الموت. وقد يأتي متمظهرا في أشكال ومظاهر لها رموزها

[1] - المصدر نفسه- ص98.
[2] - المصدر نفسه- ص132.
[3] - زهران القاسمي- تغريبة القافر- مصدر سابق- ص97.
[4] - المصدر نفسه- ص228.
[5] - شجاع العاني- البناء الفني في الرواية العربية في العراق- دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد- 1994م- ص43.
[6] - أرسطو طاليس- فن الشعر- ترجمة وتقديم : عبد الرحمن بدوي- ط2- دار الثقافة، بيروت- 1973- ص 20- 22.

ودلالاتها الخاصة، وتكون هذه الدلالات الخاصة لهذه التمظهرات هي الغاية الرمزية المتوخاة من هذا التمويه والتحويل، وقد اتضح لنا ذلك في علاقة الماء بـ: (الأم، والأحلام) وظهوره كونا إنسانيا.

3. إن المكان داخل النص الروائي يماثل صورته الواقعية في حدوده الجغرافية والتاريخية، إلا أنه يغايره في اكتسابه صورة نفسية شعورية تكونها طبيعة التجربة التي عاشها الكاتب؛ مما انعكس على التحولات في صورة المكان ودلالة هذه التحولات، كما نجد أن الماء يقف وراء معظم الصور والرموز التي اتصفت بها أمكنة الرواية.

4. تتميز الرواية بالخيال الخصب، الذي يمده معجم لغوي مائي واسع، وقد وظف الكاتب مفردات مائية للدلالة على المعاني والأفكار التي يرجوها، مثل: (البئر، الأفلاج، المطر، السحاب، الغيوم، العيون... إلخ)، وشكلت المفردات المائية منبعا ثريا بالدلالات التي تداخلت فيها الرموز؛ لتخلق فضاء يتعالق فيه إحساس الكاتب وفكره.

5. استطاع الكاتب أن يدمج شخصيات الرواية -خصوصا البطل سالم القافر- بالماء، من خلال المشاهد التي فجرت العديد من التداعيات، والأفكار المغلفة بروح الأمومة والحلم والتمني، فعكس مشاعرهم الحالمة وأفكارهم على صفحات الماء التي باتت مرآة معبرة عن خوالجهم النفسية.

❖ **المصادر والمراجع:**

- القرآن الكريم.

1. أرسطو طاليس- فن الشعر- ترجمة وتقديم : عبد الرحمن بدوي- ط2- دار الثقافة، بيروت- 1973م.
2. ثناء أنس الوجود- رمز الماء في الأدب الجاهلي- مكتبة الشباب، مصر- 1986م.
3. حميد لحميداني- بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)- ط1- المركز الثقافي العربي، للدار البيضاء، بيروت -1993م.
4. زهران القاسمي- تغريبة القافر- ط6- دار رشم للنشر والتوزيع، تونس، مسكيلياني للنشر والتوزيع، الشارقة- 2023م.
5. زهير مناصفي- شاعرية الماء والحياة النفسية، بحث في رموز الخيال من المياه المقدسة إلى المياه المبتذلة- مجلة الفكر العربي- مج16- ع82- 1995م.
6. شاكر النابلسي- جماليات المكان في الرواية العربية- المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
7. شجاع العاني- البناء الفني في الرواية العربية في العراق- دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد- 1994م.
8. ضياء غني لفته، عواد كاظم لفته- سردية النص الأدبي- ط1- دار حامد للنشر،عمان، الأردن-2011م.
9. عبد الهادي الفرطوسي- سلطة القمع في النص النسوي العربي (زهور ثلجيّة) مصداقاً- الموقع الإلكتروني لمؤسسة النور للثقافة والإعلام، العراق: -www.alnoor.se- 2007م.
10. غاستون باشلار -الماء والأحلام - ترجمة: علي نجيب إبراهيم – ط1- المنظمة العربية للترجمة – بيروت - 2007م .
11. قدور عبد الله ثاني- سميائية الصورة، مغامرة سميائية في أشهر الإرساليات البصرية في العالم- ط1- مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن- 2007م.
12. مأمون الصمادي- جمال الغيطاني والتراث ، دراسة في أعماله الروائية- مكتبة مدبولي، القاهرة- د. ط - د. ت.
13. محمد طالب البجاري- المكان ودلالاته في شعر السياب (رسالة ماجستير)- كلية التربية، جامعة البصرة، العراق- 1998م.
14. ابن منظور- لسان العرب- تحقيق: عبد الله الكبير وآخرون- دار المعارف، القاهرة- د.ط.

15. نبيلة إبراهيم- الإنسان والزمن في التراث الشعبي- عالم الفكر، الكويت- مج 8- ع 4- 1978م.
16. نوري حمودي القيسي- الطبيعة في الشعر الجاهلي- ط1- دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- 1970م.
17. يمنى العيد- في معرفة النص - ط3- منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت – 1985م.

❖ **References:**

•The Holy Quran.

1 .Abd al-Hadi al-Fartousi - The Authority of Oppression in the Arab Feminist Text (Snow Flowers) as credibility - the website of the Al-Noor Foundation for Culture and Information, Iraq: -www.alnoor.se - 2007 AD.

2 .Aristotle Thales - The Art of Poetry - Translated and Presented by: Abd al-Rahman Badawi - 2nd Edition - House of Culture, Beirut - 1973 AD.

3 .Diaa Ghani Lifta, Awwad Kazem Lifta - Narrative Literary Text - 1st Edition - Hamed Publishing House, Amman, Jordan - 2011 AD.

4 .Gaston Bachelard - Water and Dreams - Translated by: Ali Najeeb Ibrahim - 1st Edition - The Arab Organization for Translation - Beirut - 2007 AD.

5 .Hamid Lahmidani - The Structure of the Narrative Text (From the Perspective of Literary Criticism) - 1st edition - The Arab Cultural Center, Casablanca, Beirut - 1993 AD.

6 .Ibn Manzoor - Lisan Al-Arab - investigation: Abdullah Al-Kabeer and others - Dar Al-Maarif, Cairo.

7 .Mamoun Al-Smadi - Jamal Al-Ghitani and Heritage, a study of his novels - Madbouly Library, Cairo.

8 .Muhammad Talib Al-Bajari - The place and its implications in Al-Sayyab's poetry (Master's thesis) - College of Education, Basra University, Iraq - 1998 AD.

9 .Nabila Ibrahim - Man and Time in Folklore - World of Thought, Kuwait - Vol. 8 - P. 4 - 1978 AD.

10 .Nuri Hamoudi Al-Qaisi - Nature in Pre-Islamic Poetry - 1st Edition - Dar Al-Irshad for Printing, Publishing and Distribution, Beirut - 1970 AD.

11 .Qador Abdullah Thani - The Semiotics of the Image, a Semiotic Adventure in the Most Famous Visual Missionaries in the World - 1st Edition - Al-Warraq Foundation for Publishing and Distribution, Amman, Jordan - 2007 AD.

12 .Shaker Al-Nabulsi - The Aesthetics of Place in the Arabic Novel - The Arab Institute for Studies and Publishing, Beirut.

13 .Shujaa Al-Ani - Artistic Construction in the Arabic Novel in Iraq - General Cultural Affairs House, Baghdad - 1994 AD.

14 .Thana Anas Al-Wujud - The Symbol of Water in Pre-Islamic Literature - Youth Library, Egypt - 1986 AD.

15. Yumna Al-Eid - In Knowing the Text - 3rd Edition - Dar Al-Afaq Al-Jadida Publications, Beirut - 1985 AD.

16 .Zahran Al-Qasimi - Taghribat Al-Qafir - 6th Edition - Dar Rashm for Publishing and Distribution, Tunisia, Maskiliani for Publishing and Distribution, Sharjah - 2023 AD.

17 .Zuhair Manasifi - The Poetics of Water and Psychological Life, An Examination of Imagination Symbols from Holy Water to Vulgar Water - Journal of Arab Thought - Vol. 16 - P. 82 - 1995 AD.